امة تفنى وانتم تلعبون

****

اعلى عيني من الدمع غشاء ؟ ام على الشمس حجاب من غمام؟
غاض نور العارف ام غارت ذكاء؟ لست ادري غير اني في ظلام

. . . .

ما لنفسي لا تبالي الظبا ؟ اين ذاك الزهو اين الكلف ؟
عجباً ! ماذا دهاها ؟ عجبا ! فهي لا تشكو ولا تستعطف
ليتها ما عرفت ذاك النبا فالسعيد العيش من لا يعرف
لا ابتسام الغيد، لا رقص الطلا يتصباها ، ولا شدو الحمام
يذكرني عني وبي عنه جفاء انا وحدي؟—ام كذا كل الانام؟

. . . .

لا ارى لي من همومي مهربا فهي في هذا رذيلك الطريق
في الربى، فوق الربى؛ تحت الربى، في الفضاء الرحب، في الروض الانيق
في اهتزاز الغصن، في بنح الصبا، في انسجام الغيث، في لمح البروق
كلما اومض برق او اضاء بت اشكو في الدجى وقع السهام
في ابتسام الفجر للمرضى شفاء وابتسام الفجر فيه لي سقام

تعتريني هزة كالكهربا، كلما حنّ مشوق لمشوق
علّمت عيني السهاد الكوكبا وفؤادي علّم البرقَ الخفوق
ما دعوت الدمع الا انسكبا يا دموعي انتِ لي اوفى صديق
لم ارَ كاليأس يغري بالبكا، لا ولا كالدمع يشفي المستهام
فاستعينوا بالبكا ، يا تعسا ، كلما اشتدت بكم نار الهيام

. . . .

خلت قلبي بالاسى منفرداً وانا وحدي صريع المحنِ
وتوهمت الاسى لن يجدا سكناً في غير قلبي المثخنِ
وظننت الدهر مهما حقدا سوف لا يفجعني في وطني
فاذا تلك المغاني في شقاء واذا كل فؤاد في ضرام
ذهبت كل ظنوني في الهواء وتولت مثل اضغاث المنام

. . . .

لا تلمني ان انا لمتُ القضا ولُمِ الدهرَ الذي اخنى عليّ
لم تدع فيّ الليالي غرضا والضنى لم يُبقِ مني غير فيّ
لا تسلني اي خطبٍ عرضا ؟ في الحشى وجد وفي القول عيّ
قلّ غربي سالب السيف المضاء ، والشذى الزهرة ، والعقد النظام
واذا ما غلب اليأس الرجاء، هانت الشكوى ولم يجدِ الكلام

. . . .

صرتُ ، لكن مثلما شاء الكمد شاعراً من مقلتي ارتجلُ

صدّ ما كان بنفسي عنه صد ... ونجافاني الكلام المرسلُ
عقد الحزن لساني فانعقد ... اي سيفٍ ما اعتراه الفللُ ؟
بي هموم كلما لاح الضياء ... ضربت فوق عيوني بالشام
وشجون كلما جنّ المساء ... قطعت بين جفوني والمنام

. . . .

لا ارى غير خيالات تسير ... مسرعاتٍ عن يساري واليمين
فوق ارضٍ من دماء وسعير ... في فضاءٍ من همومٍ وشجون
عجباً ! اين ابتسامات الثغور ؟ ... ما لقومي كلهم باكٍ حزين ؟
كل ما اسمع — نوح وبكاء ؛ ... كل ما ابصر صرعى ورمام
زلزلت زلزالها هذه السماء ، ... ام ترى قضّت عن الموتى الرجام؟

. . . .

وقع الامر الذي لا يُدفعُ ... وجنى الجاني على تلك الربوع
واحتواها بهم لا يشبعُ ... فاحتوى كلاهما خوف وجوع
فهي اما دمنة ، او بلقعُ ... وهمُ اما قتيل ، او صريع
ان شكت قالت على الدنيا العفاء ... او شكوا قالوا — على الناس السلام
عيش الانسان فيها والقضاء ... آه من جور الليالي والطغام !

. . . .

ربّ شيخٍ اقعدته الحادثات ... ومشى « الابيض » في لمتهِ
وثناه الضعف عن حمل القناة ، ... وعن السابق في حلبتهِ

كان من قبل حلول الكارثات آمناً كالنسر في وكنته
لاهياً يذكر ايام الصبا وليالیه ، وفي الثغر ابتسام
حكم العاتي عليه بالفنا وأبى المقدور الا ان يضام

. . . .

وفتىً كالغصن ريان نضير تحلم الخود به اذ تحلمُ
وتراه للهوى بين البدور فتراه فوقهنّ الانجمُ
ألمعي الذهن والقلب الكبير ، ملك في بردتيه ضيغمُ
بات لا يقوى على حمل الرداء منكباه وهو في العشرين عامُ
ما به عجز ولا داء عياء غير ان الجوع قد هدّ العظام

. . . .

ربّ طفلٍ طاهرٍ ما اثما مات موت الآثم المجترمِ
كان من يرتجى لو سلما للعلى ، لكنه لم يسلمِ
كوكب ما كاد يبدو في السما طالعاً حتى اختفى كالحُلمِ
غاض مثل الماء في الارض العراء ما عهدت البدر مثواه الرغام
هكذا اودت به ريح الشتاء زهرةً لم تتفتح عنها الكمام

. . . .

وصغارٍ مثل افراخ القطا يتضاغون من الجوع الشديد
وهنت اعصابهم لما سطا ، والطوى يوهن عزمات الاسود
أرأيت العقد لما انفرطا ؟ هكذا دمعهم فوق الخدود

زهقت ارواحهم في شكل مـاء ... للاسى . لله ، ما اقسى الحمام !
يا رعى الله نفوس الشهداء ... وسقى اجداثهم صوب الغمام

. . . . . .

ايها الجالون عن ذاك الحمى ، ... ان في ذاك الحمى مـا تعلمون
ضيم في احراره واهتضمـا ... ووقفتم من بعيد تنظرون
لا ، ومن شاء لنـا ان ننعما ، ... ما كذا يجزي الاب البر البنون
كلكم ، يا قوم ، في البلوى سواء ... لا ارى في الرزء لبنـانا وشـام
في ربى لبنـان قومي الاصفياء ... وبأرض الشام احبـابي الكرام

. . . . .

أليـالي غاديات رائحـه ... بالدواهي ، واراكم تضحكون
مـا اتعظتم بالسنين البـارحه ... لا ، ولا انتم غداً متعظون
يا لهول الخطب ! يا للفادحه ! ... امـة تفنى ، وانتم تلعبون
غادفتوا اضغانكم ، يا زعمـاء ، ... يبعث الله من القبر الوئام
وابسطوا ايديكم ، يا اغنياء ، ... ابغض السحب الى الصادي الجهام

مرآة الغرب — ايليا ابي ماضي